

مصرع

الامام الحسين رضي الله عنه

شہید کر بلاء و سید شباب اهل الجنة

بقلم

محمد سعيد الموحى

١٩٥١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حفيد النبي

كان الحسين أحب أهل بيت النبي إليه صلى الله عليه وسلم وحسبنا أن نعلم أن النبي قد قال . . كل الجزع والبكاء مكروه سوى الجزع والبكاء على الحسين عليه الرضوان وكان علي بن الحسين عليهما الرضوان يقول أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين حتى تسيل دموعه على خده بواه الله في الجنة غرقا ، وأيما مؤمن دمعت عيناه لأذى مس آل النبي من عدو في الدنيا بواه الله مبوأ صدق في الجنة وقال الحسين عن نفسه . . أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلا استعبر .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خرج في سفر والحسين عمره سنتان فوقف في بعض الطريق واسترجع ودمعت عيناه فسئل في ذلك فقال هذا جبريل يخبرني عن أرض بشط الفرات يقال لها كربلاء يقتل فيها ولدي الحسين بن فاطمه فقيل ومن يقتله قال رجل

يقال له يزيد وكأني أنظر إلى مصرعه ومدفنه ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم من سفره ذاك مهموماً فصعد المنبر وخطب الناس والحسن والحسين بين يديه فلما فرغ من خطبته وضع يمينه الشريفة على رأس الحسن ويسراه على رأس الحسين ثم رفع رأسه إلى السماء وقال اللهم ان محمداً عبدك ورسولك ونيك وهذان أطايب عترتي وخيار ذريتي وأرومتي وقد أخبرني جبريل أن ولدي هذا مقتول مخذول اللهم فبارك في قتله واجعله من سادات الشهداء .

الحسين وهو صبي

فالحسين كان أحب أهل بيت النبي إليه ولقد رويت في ذلك قصص شتى . قالوا ان النبي ﷺ كان يخطب ذات يوم إذ خرج الحسين فوطئ ثوبه فمقط فبكي فزل النبي ﷺ عن المنبر فضمه إليه وقال قاتل الله الشيطان ان الولد لفتنة والذي نفسي بيده ما دريت إني نزلت عن منبري وقالوا ان شدة حب النبي ﷺ للحسين ترجع إلى أنه كان حين يراه وهو طفل يسمى بين يديه يرى هذه المنجحة التي ستقام له وانفرد من آل بيته .

قالت أم الفضل بنت الحارث زوج العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ، لقد حملت الحسين وهو طفل إلى النبي ﷺ فتساوله بين يديه الشريفين وقبله فبال على ثوبه فعرصته قرصة بكى منها فقال النبي

صلى الله عليه وسلم مهلاً يا أم الفضل آذيتني وأبكيت ابني ، فهذا
ثوب يغسل (وفي رواية) لقد أوجع قلبي ما فعلت قالت أم الفضل
فتركته عند جده ومضيت لآتيه بماء فحُثت إليه فوجدت النبي ﷺ
يبكي فقلت مما بك أو بك يا رسول الله قال ان جبريل آتاني فاخبرني
ان أمي تقتل ولدي هذا .

من أدب النبي

فلا غرو إذا شب الحسين متأدياً بأدب جده ﷺ ناسجاً على
منواله متخذاً من النبي خير قدوة ، فانما نقراً انه رضى الله عنه حج
خمساً وعشرين حجة ماشياً على قدميه ، لا يريد أن يذهب الى بيت
الله راكباً ، وكان الناس المسافرون في طريق الحج يبرون به وهو
يمشي فيزولون عن درابهم احتراماً له واقتراباً به ولستهم كانوا
يجدون في ذلك مشقة لطول الطريق حتى قال بعضهم لسعد بن
أبي وقاص لقد ثقل علينا المشي ولا نستحسن أن نركب والحسين
يمشي ، فذهب سعد الى الحسين يرغب اليه الركوب فقال الحسين قد
جعلت على نفسي المشي الى بيت الله الحرام ولكني سأتجنب طريق
الناس حتى لا يراني أحد منهم فيمشي ويجد في ذلك عناء لا يحتمله
كثير منهم .

وتحدثوا عن كرم الحسين وذكروا عن ذلك الكثير .

قالوا ان الحسين دخل على أسامة بن زيد وهو مريض وأسامة يقول واغمأه .. قال الحسين وما غمك يا أخى قال أسامة .. اننى أحضر وان الموت يطلبنى ويهمنى اننى مدين لا أستطيع وفاء دينى قال الحسين هو على ساقضى عنك دينك ثم قام من ساعته فقطضى دين صاحبه وقدره ستون ألف درهم ، وهو دين كما ترون كبير ..

أكرم الناس

وجاء اعرابي اليه ذات مساء فقال يا ابن رسول الله اننى ضمنت دية كاملة وعجزت عن أدائها فقلت فى نفسى اسأل أكرم الناس وما رأيت أكرم من أهل بيت رسول الله ﷺ فقال الحسين .. يا أخا العرب اسألك عن ثلاث مسائل فإني أجبت عن واحدة أعطيتك ثلث المال وان أجبت عن اثنتين أعطيتك ثلثي المال وان أجبت عن الكل أعطيتك الكل قال الاعرابي .. يا ابن رسول الله أمثلك يسأل مثلى .. ؟ وانت من أهل العلم والشراف ، قال الحسين بلى ، سمعت جدى رسول الله ﷺ يقول ، ليس رتب بقدر المعرفة فقال الاعرابي سئل ما بدالك .. فان أجبت ثلث المال والا فعلت منك والسم خير من المال على كل حال ولا شرة الا بالله .. قال الحسين أى الأعمال أفضل .. ؟ أجاب الاعرابي الإيمان بالله .. قال الحسين فما يزين الرجل فأجاب الاعرابي علم معه حلم ، فان الحسين

فان لم يكن فأجاب الأعرابي مال معه مروءة ، قال الحسين فان لم
يكن فأجاب الأعرابي فقر معه صبر ، قال الحسين فان أخطأه ذلك
كله فأجاب الأعرابي فصاعة تنزل من السماء وتحرقه فانه أهل لذلك
فضحك الحسين رضى الله عنه ، وأعطاه حاجته .

وكان الحسين على تقواه وكرمه كثير الخوف من الله سبحانه
وقد سئل في ذلك فقال لا يأمن يوم القيامة إلا من خاف الله في
الدنيا وقد كان مع خوفه ذاك يصلي في اليوم واللييلة ألف ركعة .

* * *

أكثر الناس بلاء

كان الحسين رضى الله عنه يقول شعرا

إذا ما مضى الدهر	فلا تجنح إلى خلق
ولا تسأل سوى الله	تعالى قاسم الرزق
فلو عشت فطوفت	من الغرب إلى الشرق
لما صادفت من يقدر	أن يسعد أو يشقى

قال النبي ﷺ أكثر الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل
فنحن نرى من تاريخ الأنبياء أن منهم من قتل ومنهم من طورد
أوذى أذى بليضا ، ذلك لأن هذه الدنيا هيئة عند الله سبحانه ومن

هو أنها عنده أنه لم يجعل لأوليائه فيها حظا كبيرا أو صغيرا ،
ولو كانت الدنيا تعدل عند الله شيئا لجعل لأحبابه فيها النصيب
الأوفر والحظ العظيم ، ولكن الناس يتكالبون عليها ويتزاحمون
على متعتها ويريد الله تعالى أن يرى الناس بأنفسهم هو أنها إذا يرون
أنه لا يعطي الدنيا إلى المقربين منه بل يجعلهم مثلا للناس في شدة
البلاء فهم من آة الأقدار ثم لا يأتهم الأذى الا بمن يريدون لهم الخير
والهدى ذلك لأن الناس قد ألفوا أشياء من المتع واللذات تذهب
بحق البشرية مجتمعة وإن هيأت شيئا من اللذة للأفراد .

ويريد الله سبحانه أن يعلم الدعاة إلى الخير أن لا ينصرفوا عن
دعوتهم تلك لما يلقونه في سبيلها من العنت وأن يعلمهم الصبر على
المكاره فجعل من الأنبياء والأولياء والصدّيقين مثلا للناس في
الصبر على الشدائد واحتمال المكاره والآن فلننتقل إلى ما كان من
أمر الامام الحسين .

أول البلاء

لما مات معاوية وقام من بعده ولده يزيد كتب يزيد هذا إلى
عمه عتبة بن أبي سفيان وكان عتبة هذا واليا على المدينة يأمره أن
يطلب إلى الناس في المدينة أن يسايحوا يزيد وأن يرتضوه خليفة
للمسلمين ، وشدد يزيد في كتابه ذلك إلى عمه عتبة وأوصاه أن يوجه

أكبر جهده إلى الحسين بن علي فان الحسين قطب من أقطاب بني هاشم
فهو إذ يبايع يزيد سيقتدى به الناس جميعا في المدينة وغيرها ، وكان
يزيد على علم بأن الحسين سيمتنع عليه وان هذا الامتناع سيفرغ
الناس بالانصراف عن يزيد . . فقال لعمه عتبة اذا امتنع عليك
الحسين فاضرب عنقه وابعث إلينا برأسه .

ولكن عتبة بن أبي سفيان أشفق على نفسه من هذا الأمر
الشديد فطلب إلى مستشاره الوليد بن مروان بن الحكم أن يعينه
بالرأي فقال الوليد . . كن على يقين يا عتبة ان أمر الحسين خطير
وانه سيمتنع عن البيعة ليزيد ما في ذلك شك واعلم أن يزيداً لن
يعفرك فثلك في انجاح رغبته فاحزم أمرك وابعث إلى الحسين
فاذا جاءك فاحبسه عندك ولا تجعله يخرج حتى يبايعك أو تضرب عنقه
وكان عتبة يخشى يزيد ويخشى أن يتهم عنده بالتهاون في الأمر
فأراد أن يتخذ شهودا يستمعون إلى ما يكون بينه وبين الحسين من
حديث فاستدعى ثلاثين رجلاً من أنصاره وأقامهم في مجلسه . . فلما
جاء الحسين لم يجرؤ عتبة أن يتحدث إليه في الأمر وانما ذهب يقرأ
عليه كتاب يزيد فلم يتمكلم الحسين وانما ذهب من مجلسه يريد أن
يذهب فادرك عتبة كل شيء وهمس مستشاره الوليد بن مروان قائلاً
لا تجعل الحسين يفلت من يدك عليك الآن بضرب عنقه وإرسال
رأسه إلى يزيد . . فلم يجب عتبة وانما ظل شارد اللب لا يدري ماذا

فعل وظل مستشاره الوليد هادئاً ساكناً لا يقوى على الكلام
بمحضر الحسين فلما ذهب قام يصرخ في وجه عتبة متهما إياه بأفلات
الفرصة فأجاب عتبة غاضباً .. لقد أشرت على يا وليد بذهاب ديني
ودنياي ووالله ما أحب أن أملك الدنيا بأسرها وأني قتلت حسيناً ،
ثم استبد الغضب بعتبة وهو يذكر فضل الحسين وأنه ابن النبي
وأحب آل بيته إليه فقام من مجلسه ذاك صائحاً .. سبحان الله والله
ما أظن أحداً يلتقي الله بدم الحسين إلا وهو خفيف الميزان لا ينظر الله
إليه يوم القيامة ولا يزيه وله عذاب اليم .

النبي في الرقيا

وذهب الحسين والليل ضارب أستاره على المدينة إلى قبر جده
ﷺ فقال السلام عليك يا رسول الله ، أنا الحسين بن فاطمة سبطك
الذي خلفتني في أمتك فاشهد عليهم يا بني الله أنهم خذلوني وضيعوني
ولم يحفظوني ؛ وهذه شكواي إلى الله ثم إليك حتى ألقاك ، وجعل
الحسين يكرر الدعاء ومناجاة ربه وحسده ثم قام إلى الصلاة حتى
مطلع الفجر .

فلما كانت الليلة الثانية رآه الليل مرة أخرى عند قبر جده وهو
يصلّي ثم رآه الليل أيضاً وهو يقول . اللهم هذا قبر نبيك محمد ،
وأنا ابن بنت نبيك وقد حضرني من الأمر ما علمت ، اللهم إني أحب

المعروف والبر ، وانا اسألك يا ذا الجلال والاكرام ألا أخذت
 لي ما هو لك رضا ، ولرسولك رضا وارتسمت في ذهن الحسين هذه
 الفتنة التي يوشك أن يهب أعصارها على المسلمين فبكي اشفاقا على
 كلمة الله في الأرض وجعل يمين في البكاء حتى اذا تعب وكان قريبا
 من الصبح وضع رأسه على القبر فأغنى فاذا هو برسول الله ﷺ
 قد أقبل في كتيبة من الملائكة يحوطونه عن يمين وشمال ثم تقدم
 من حسين فضمه الى صدره وقبله بين عينيه وقال يا حسين ، إني
 أراك عن قريب مر ملا بدمائك مذبوحا بأرض كرب وبلاء من
 عصاة من أمي وانت مع ذلك عطشان لا تسقى ظمآن لا تروى
 وهؤلاء مع ذلك يرجون شفاعتي ، لا أناهم الله شفاعتي يوم القيامة ،
 يا حسين ان أباك وأهلك وأخاك قدموا على وهم مشتاقون اليك ،
 وان لك في الجنان لدرجات لاتنال إلا بالشهادة .

وكان الحسين في رؤيته تلك ينظر الى جده ويقول . . يا جده
 لا حاجة لي في الرجوع الى الدنيا فخذني اليك وأدخلني معك في قبرك ،
 فقال له رسول الله ﷺ ، لا بد لك من الرجوع الى الدنيا حتى
 ترزق الشهادة وما قد كتب الله لك فيها من الثواب العظيم فانك
 وأباك وأخاك وعمك تحشرون يوم القيامة في زمرة واحدة حتى
 تدخلوا الجنة .

ولما اتته الحسين من منامه كانت الرؤيا واضحة يذني وضوحها

عن صدقها ولم يكن به جزع على حياته وشخصه وإنما هو الجزع
على ما قد يصيب المسلمين ، ولما قصر رؤياه تلك على آل بيته جعلوا
جميعا يكون وقد أدركوا ان أيام الحسين على الأرض أمست
معدودات .

الخروج من المدينة

وقال محمد بن الحنفية لما علم بعزمه على الخروج من المدينة ،
ان الله قد شرفك يا حسين وجعلك من سادات أهل الجنة ، تمنح
بيعتك عن يزيد وغن الأمصار ما استطعت ثم ابهت رسلك الى
الناس فادعهم الى نفسك ليبايعوك فان أمر الناس لا يصلح الا بك ،
فان بايع الناس لك حمدت الله على ذلك ، وان اجتمع الناس على
غيرك لم ينقص الله بذلك دينك وعقلك .

وأته أم سلمة فقالت ، يا بني لا تذهب إلى العراق فاني سمعت
جدك صلى الله عليه وسلم يقول يقتل ولدى الحسين بأرض العراق بأرض يقال
لها كربلاء فقال يا أماء وأبا والله اعلم ذلك ، وأعلم اني مقتول لا محالة
وايس لي من هذا بد ، وان الله لأعرف اليوم الذي أقتل فيه
وأعرف من يقتلني وأعرف البقعة التي أدفن فيها ، وأعرف من
يقتل من أهل بيتي وقرابتي ، وان أردت يا أماء أريك حفرتي
ومضجتي . فعند ذلك بكى أم سلمة بكاء شديدا وسلمت الأمر الى

الله فقال الحسين وهو يهدد حزنها يا أماء قد شاء الله أن يراني
مذبوحاً ظلياً وعدواً ، وقد شاء أن يرى حرمي ورهطلي ونسائي
مشردين وأطفالي مذبوحين مأسورين مظلومين مقيدين وهم
يستغيثون فلا يجدون ناصراً ولا معيناً .

وداع

وذهب الحسين إلى قبر أمه فزار القبر وطلب إلى أهله
وأولاده أن يخرجوا معه في جوف الليل وجعل وهو يتنهد للخروج
يقرأ قوله سبحانه (نخرج منها خائفين يترقب ، قال رب انجني من
القوم الظالمين) .

وفي الطريق لقيه عبيد الله بن مطيع فقال إلى أين يا حسين ؟
قال رضي الله عنه أما الآن فإلى مكة وأما بعد فإني استخير الله .

في مكة المكرمة

ولاحقت مكة من بعيد حمى اللامن يفتح ذراعيه للطريد . . فهفا
إلى البلد الطيب قلبه وجعل الحسين يردد قول الحق سبحانه (ولما
توجه تلقاهم دين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل) .
واستقبله أهل مكة بالفرح والتكبير وحمد الله الذي بعث إليهم

الحسين ابن النبي ﷺ وخير من تحمل الأرض في هاتيك الأيام .
وطابت مكة للحسين وآل بيته مستقرا ومقاما ، ولكن أمرا
واحدا مازال يتردد بقوة في خاطر الحسين . . هو أمر الناس وأمر
الدين ان كلمة الله أمانة في عنقه وهي أمانة عجزت عن حمل السموات
والأرض والجبال وحملها الانسان . . وهام أهل الكوفة يرسلون
اليه كل يوم عشرات من الكتب يطلبونه اليهم ليرفحوا بيده راية
الاسلام ذلك إنه قد حدث في الكوفة بعد موت معاوية وولاية
يزيد ان علم القوم بامتناع الحسين عنبيعة يزيد بن معاوية فاجتمع
خلق كثير في دار سليمان الخزازي من كبار أهل الكوفة وقام فيهم
خطيب منهم فقال

انكم قد علمتم بان معاوية قد هلك وصار الى ربه وقدم على عمله
وقد قعد في موضعه ابنه يزيد ، وهذا الحسين بن علي قد خالفه
وهاجر الى مكة وأنتم شيعته وشيعة أبيه من قبله وقد احتاج إلى
انصرتكم اليوم فان كنتم تعلمون انكم ناصروه وبجاهدو عدوه
فاكتبوا اليه ، وان خفتن الوهن والفشل فلا تغروا الرجل من
نفسه . . .

فنهقوا جميعا معقبين على قول الخطيب . . بل نحن مع حسين
نقاتل عدوه ونقتل أنفسنا دونه ، ثم قرروا أن يرسلوا منهم وفدا
إلى مكة يحمل إلى الحسين دعوتهم للسفر اليهم .

وقد سافر الوفد الأول . . وظل أهل الكوفة على أحر من
الجمر قد استبد بهم الخماس فلم يطيقوا انتظاراً بل أرسلوا وفداً
ثانياً . . وتلك طبيعة ذوى الأهواء الحادة والعواطف الجامحة فانهم
دائماً يتطرفون ويسرفون في الحساس وقد ينتهى هذا التطرف إلى
خمود وذلك الاسراف إلى جمود بخلاف أصحاب العقول الرقيقة
اولئك الذين يقلبون كل أمر على جميع وجوهه ثم يتخذون فيه
وأيا حازماً ثم يلتمسون في حكمة وبعد نظر الأسباب الملائمة . . .
فقد ظل الحسين رضى الله عنه في مكة يتلقى كل يوم كتباً بعد كتب
يرى وفوداً من أهل الكوفة بعد وفود حتى اجتمع عنده في يوم
واحد ستائة كتاب وهو رضى الله عنه يتسلى ولا يجهيهم حتى بلغ
عدد الكتب التى تلقاها اثنا عشر الفا وهو ما يزال مع هذا مستأنفاً
يتفكر حتى جاءه بعض كبار القوم منهم وهم يحملون الكتاب التالى
بسم الله الرحمن الرحيم

من المؤمنين المسلمين بالكوفة إلى الحسين بن علي رضى الله
عنه . . أما بعد فتهيلاً فإن الناس ينتظرونك لا رأى لهم غيرك ،
فالمجل المجل ثم العجل العجل والسلام
وقلا الحسين الكتاب وأحسن ما فيه من أسباب العجلة ووجد
نفسه مع ذلك وهو الخبير الحكيم بالتقوى وأحوالها مستأنفاً
يتفكر ...

وازداد قلق أهل الكوفة وبلغ حماسهم القمة فإرسلوا إليه على عجل يقولون .. لقد أخضر الجناب واينعت الثمار فاذا شئت فاقبل على جند لك مجند فان لك في الكوفة مائة ألف سيف فلا تتأخر ولم يكف أهل الكوفة أن يرسلوا إليه هذا الكتاب القوي وإنما كلفوا اثنين من خيرة رجالها بحمله إلى الحسين .. فلم يعد له رضى الله عنه أن يتخذ قرارا وهو يعلم أن مهلكة ينتظره في الكوفة وان السيوف الظالمة ظمأى لدمه ودم أهل بيته من النساء والغلمان وان قبورهم في تلك البقاع تناديهم .

الحسين يرسل مندوبا

وقام الحسين يصلى ويمعن فى الصلاة مبتهلا الى الله أن يختار له ثم لم طلب الى ابن عمه مسلم بن عقيل أخلص الناس اليه وأحبهم إلى قلبه أن يستعد للسفر وأوصاه أن يذهب إلى أهل الكوفة وأن يحمل كتابه اليهم وان يبعث اليه من هناك بما يرى وأرسل مع مسلم كتابا يقول فيه

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن على الى الملأ من المؤمنين والمسلمين ، أما بعد ..
فان هانبا وسعييما قدما على بكتابتكم وكانا آخر من قدم على من

ورسلكم وقد فهمت كل الذي ذكرتم ومقالته جللكم انه ليس علينا
إمام فاقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق والهدى ، وأنا باعث
اليكم أخى وابن عمى وثقتى من أهل بيتى مسلماً بن عقيل فان كتب
إلى أنه قد اجتمع رأى ملتكم وذوى الحجى والفضل منكم على
مثل ما قدمت به رسلكم وقرأت فى كتبكم فانى أقدم اليكم وشيكا
ان شاء الله تعالى فلعمرى ما الامام إلا الحماكم بالكتاب القسام
بالقسط الدائن بدين الحق الحابس نفسه على ذلك والسلام

وكان لابد للحكيم الرشيد الحسين رضى الله عنه أن يرسل من
قبله مثل هذا الرسول الثقة ليكون عينه التى يرى بها وأذنه التى
يسمع بها وليكتب اليه بما يرى ويسمع هل القوم جادون فى قولهم
مستعدون حقاً للجهاد مقصدون لعواقب الأمور فان كان ذلك
أسرع اليهم .

ووصل مسلم الكوفة ونزل فى دار المختار بن أبى عبيد الثقفى
 واجتمع إلى الناس وجمعهم يقرأ لهم كتاب الحسين وهم يبكون
قائرا عند سماعه وبايعه منهم ثمانية عشر الفا وقيل بل بايعه أربعون
الفا من أهل الكوفة على أن يحاربوا من حارب ويسالموا من سالم
فكتب مسلم بذلك الى الحسين . . وأصبح حضور الحسين إلى
الكوفة منتظراً .

* * *

غضبة يزيد

واذ علم يزيد بذلك جن جنونه واضطرم من اجل غضبه واذا
أرسل اليه أعوانه من أهل الكوفة يشكون ضعف وأليه النعمان بن
بشير ويقولون إنه رجل لا يقوى على مواجهة الحسين ومناهضة
ما يوشك أن يلم بالكوفة من أحداث ، حينئذ أرسل يزيد بهزل
النعمان بن بشير وعين عبيد الله بن زياد واليا للكوفة والبصرة
وأغراه بمكافأة وأجر عظيم وكتب اليه يقول . . . أما بعد فقد
كتب الى شيعتي من أهل الكوفة يخبروني أن مسلم بن عقيل يجمع
الجموع ليشق عصا المسلمين فسر حين تقرأ كتابي هذا حتى تأتي
الكوفة فتطلب ابن عقيل طالب الخرزة حتى تثقفه فتوثقه أو تقتله
أو تنفيه والسلام .

وصدع ابن زياد الأمر وسار من فوره الى الكوفة وهناك
أخذ أهلها أخذا شديدا وطلب اليهم أن يحيطوه علما بمن يوجد في
الكوفة من الأعراب الذين ليسوا من أهلها وعمن يقيم في ضيافتهم
وقال في الناس ومن لم يفعل فخلال علينا دمه وماله ، وإيا انسان
استضاف أحدا من أعداء أمير المؤمنين صلب على باب داره
وعلم مسلم بن عقيل وهو في دار المختار أنه أصبح مطلوبا من
ابن زياد وان مصير من يستضيفه الهلاك فخرج من دار المختار في

جوف الليل ملتحفًا بالظلام اذ طلب اليه هاني بن عروة أن ياتي داره وأن يكون في أمانه . . . وأصبح القوم يأتونه سرا في دار هاني بن عروة متواصين بالكتمان وألح ابن زياد في طلب مسلم وهو لا يعلم أين مخبأه

ولجأ ابن زياد الى حيلة قديمة خبيثة فطلب الى رجل من أعوانه أن يندس بين أنصار الحسين وان يدعى انه منهم وأعطاه أربعة الاف درهم أوصاه ان يتبرع بها ذرا للرماد في عيون القوم فلا يعرفوا انه جاسوس . . وذهب معقل وذلك هو اسم الرجل ولم ينس أولا ان يختزل المبالغ فيحتفظ لنفسه بالف درهم ثم يجلس في المجلس متباكيا على الدنيا وما أصابها من شر والأتقياء من بني هاشم وما أصابهم من سوء مبتهلا الى الله في حرارة أن ينصر الحسين حتى وقعت عليه بعض انظار انصار الحسين فاستمعوا اليه وهددوا حزنه وطمأنوه على ان الدنيا ما تزال بخير فالتس اليهم ان يذهبوا به الى مسلم بن عقيل فانه يملك من دنياه ثلاثة الاف درهم يريد ان يتبرع بها للدعوة للحسين .

وفرح ابن عوسجة بهذا العضو الجديد وذهب يأخذ عليه العهد والمواثيق والرجل يفعل ويقسم على ذلك اقساما غلاظا ويشهد الله على ما في قلبه من حب الحسين حتى اطمأن اليه عوسجة وأخذه الى

مسلم بن عقيل فهوى على يدي مسلم مقبلا سائلا عن الحسين داعيا
له بالنصر ثم غافل القوم وذهب بسرهم الى ابن زياد

امتحان الى جال

علم ابن زياد ان مسلما مختبئا في دارهاني فارسل الى هاني وأمر
بضربه وحبسه اذ رفض تسليم مسلم بن عقيل وراح يذكرهم بحق
الضيف في الاسلام ولم يزد قوله ذاك ابن زياد إلا الحاحا عليه في
الأذى وهاني يحتمل هذا العذاب صابرا هاديا النفس في سبيل
الكرامة والرجولة

وعلم مسلم بن عقيل أن هاني يضرب ويهان فخرج من مكانه
وامتطى جواده ورفع سيفه وذهب يبغي دار الحاكم فانضم اليه
اربعة الاف رجل كانوا ينتظرون اشارته .

وتناقل الناس الخبر فاسرع الذين كتبوا الى الحسين ينضمون
الى مسلم بن عقيل فانضم اليه الذين كانوا في المساجد والذين كانوا
في الأسواق ثم ذهب بهذا الجيش فاحاط دار ابن زياد وأقام حول
الدار مرابطا وكان كل من علم من أهل الكوفة بالأمر يدع عمله
ويحمل سيفه ويسرع الى الجمع . . . وابن زياد في داره يرتعد فرقا
ورعبا فان عساكره لا تكاد تقف أمام هذا الجيش الكبير ولكن
ابن زياد كان خبيرا بأهل الكوفة عارفا بسرعة استجابتهم للاهواء

وسرعة انطفاء حماسهم وذهاب نارهم فطلب إلى بعض كبار قومه أن
ينفذوا من داره سرا من باب أعد من قبل لمثل هذا الحال وأن
ينذهبوا ليخيفوا الناس وليقولوا لهم ان هناك جيش كبير في طريقه
من الشام لنجدة ابن زياد وليهولوا من الأخطار التي تنتظرهم . . .
فذهب هؤلاء وقام كثير بن شهاب خطيبا في النساء والشيوخ وقال
أيها الناس . . الحقوا بأهاليكم ولا تعجلوا الشر ولا تعرضوا انفسكم
للقتل فان جنود أمير المؤمنين يزيد بن معاوية ستقبل عليكم وقد
أعطى الله الأمير عهداً لئن أقمت على عهده ولم تنصرفوا من عشيتكم
أن يحرم ذريتكم العطاء ويفرق مقاتليكم في مغازي الشام وأن
ياخذ البريء منكم بالسقيم والشاهد بالغائب حتى لا يبقى له بقية من
أهل المعصية الا أذاقها وبال ما جنت أيديها وكان ، وذهب أتباع
يزيد يرددون هذا الكلام ويؤثرون بقولهم هذا النساء من الزوجات
والأمهات والبنات يقولون لمن الحقن برجالكن فردوهن إلى الدور
قبل ان تتخططنهم جيوش يزيد التي ستحيط بالكوفة وشيكا . .

فاضطرب الأمر وأسرعت المرأة تجري باكية منتحية تبحث
عن أخيها أو بعلمها أو أبيها تصيح به وتشده طالبة إليه أن ينصرف
عن الحسين وبدأ الجيش يتفكك من صنع النساء وخوفهن فاذا قال
رجل لامرأته انما ادفع عن الحق قالت بدموعها وما انت والحق

دع هذا لغيرك فيكون بينه وبينها نقاش طويل تغلبه فيه بعاطفتها
حتى إذا ما انسحب من الجمع تبعه آخر فان الضعف يعدى كعدوى
المرض ... فلما جاء المساء انتهز هؤلاء فرصة الظلام وراحوا
يتسللون في الخفاء فرادى وجماعات منكسى الرؤوس ضحفا وخزيا
ومسلم بن عقيل ينظر حوله فاذا الصفوف تخف ثم تتداعى ثم
تتلاشى ...

فضلى المغرب وما معه من هذه الألوف التى أرسلت الى
الحسين اربعين الف كتاب ولا من هؤلاء الذين أسرعوا اليه
يحملون السيوف لم يعد حوله من هؤلاء غير ثلاثين فارسا هم
الصفوة الصافية من هذا التهويل العظيم وهؤلاء الثلاثون هم الثابتون
من المؤمنين الذين لا يخلو منهم عهد او زمن .

ونظر مسلم بن عقيل الى هذه الهبة الصغيرة وهو يعلم أن
مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل التاجر فى تجارتة لا يقدم على عمل إلا
وقد اتخذ له عدته وأصبح النصر منه غير محتمل ولا قوة له بهؤلاء الثلاثين
فأراد ان يعدهم لمستقبل لا يعلمه الا الله فصرفهم عنه مشكورين ..
وهو يتفكر محسورا فى أمر الحسين نادما على ما كان منه من
أسرعه فى الكتابة اليه ليحضر الى الكوفة مأخوذا بما رأى من
هذه الجموع التى أحسنت الكلام ولم تحسن العمل ..

وذهب ابن عقيل يتفكر في هذا المأزق الذي سيقع فيه الحسين
 حين يأتي مدفوعا بكتاب ابن هاني فلا يجد حوله من الناس أحدا .
 ترى هل آن للحسين أن يلقى مصرعه كما قال رسول الله ؟ .
 ترى هل دنت ساعة القدر المقدور للحسين وآل بيته ؟ .
 ترى أكان عبد الله بن مطيع محقا حين قال للحسين عشاء
 خروجه الى مكة إياك والكوفة فهي بلد شؤم بها قتل أبوك وخذل
 أخوك واغتيل بطعنة ... ؟
 لقد ذهب مسلم يتفكر مهموما في كل هذا ولم يجد حوله من
 أهل الكوفة انسان .
 انها الأقدار التي تأخذ مجراها لا يردّها حرص الحريصين ولا
 تدبير المدبرين .

نضال رهيب

كان ابن زياد يقيم في داره محصوراً بمسلم بن عقيل وجموعه
 والرعب يطويه ثم ينشره ولم يكن ابن زياد على علم بانصراف
 الناس عن مسلم وتركهم إياه وحده .
 ولكن الأصوات تهدأ فيزداد بذلك إخوفه إذ يظن القوم
 يدبرون أمرا جديدا ويبرمون حدثا خطيرا فلما تكاثف الظلام

طلب الى بعض قومه أن ينظروا فذهبوا يفعلون ثم عادوا يعملون
 اليه انهم لا يرون شيئاً فازداد اضطراباً وأمر القوم فرفعوا المشاعل
 في أيديهم وجعلوا يكتسحون الفضاء بأنظارهم فيجدون الارض
 من حول الدار قاعاً صفصفاً فلا يصدقون عيونهم ويظنونهم قد
 لجأوا إلى المسجد الكبير المجاور للدار فجعلوا يدلون بالقناديل
 فيها أطنان من حطب مشتعل فتذهب السنة النار تتراقص خزناً
 وعاراً مما كان من أمر الجموع وإذ ذاك عادوا فاخبروا ابن زياد أن
 القوم فروا وتخلوا عن ابن عقيل من أثر الدعاية الكبيرة التي
 أعلنوها بين الناس فضحك ابن زياد بعد أن ردت اليه روحه وقال
 إنى أعلم أن القوم يحبون حسين ولكن غلبهم جبنهم على حبهم له ..
 ومادنا قد اكتشفنا هذا الجبن فعلمنا أن نزيدهم تخويفاً فان الجبان
 يموت رعباً من الوهم ويعمل فيه الخيال أكثر مما تعمل الحقائق .
 فرفع كأسه وجرع جرعات من خمر فرحاً بما كان له من نصر
 ثم أسرع إلى المسجد في صلاة الفجر فصلى رياء ونفاقاً وجمع له الناس
 من كل حدب ثم راح يخطبهم فقال
 ان ابن عقيل السفيف الجاهل قد أتى ما قد رأيتم من الخسلاف
 وهرب وحيداً واختبأ في مكان لا نعرفه فبرئت ذمة الله من رجل
 وجدناه في داره ومن جاء به فله عندنا أجر كبير .. اتقوا الله عباد
 الله والزموا طاعتكم وبيعتمكم ولا تجمعوا على أنفسكم سبيلاً .

ثم نادى ابن زياد رئيس شرطته حصين بن نمير فقال . . .
ثماكتك أمك يا حصين ان لم تأتني بمسلم بن عقيل ، لقد سلطتك على
دور أهل الكوفة فابعث المراسد عليهم وعلى دورهم وجس خلال
الدور حتى تأتيني بهذا الرجل مسلم بن عقيل

شجاعة امرأة

وهب من بين الجمع الذي كان يستمع الى كلام ابن زياد فتي
فقال . . . أيها الأمير لقد وعدت من يأتيك بمسلم بن عقيل بأجر
عظيم فاجعل لي ذلك الأجر فاني قد رأيت أمتى بالأمس وهي عجوز
لا تقوى على المسير تتحامل على نفسها ساعات لتذهب الى بيت لنا
في أطراف الجبل فرابنى ذلك منها فتبعها حتى رأيتها تخفى في دارنا
تلك مسلم بن عقيل .

وترنح ابن زياد فرحاً ولكنه لم يخف نظرة ازدراء الى هذا
الفتى الحقير الذي يرمى أمه في الهلاك من أجل أجر موعود ويأتي
إلى الهلاك برجل من رجال الله . .

لقد احتقر ابن زياد هذا الفتى في باطن نفسه شأنه في ذلك
شأن المستعمرين الذين يتخذون في البلاد أعواناً لهم يعطونهم ثمن
خياناتهم ولكنهم بينهم وبين أنفسهم يحتقرونهم وفي آخر الأمر

يذيقونهم الهوان لأن الخثون لا عهد له . ومع أن ابن زياد قد
احتقر هذا الفتى إلا أنه أخفى حقيقة شعوره وذهب يكيل له
المدح الزائف ثم أمر أن يذهب هذا الفتى إلى دار أمه مع نفر من
أشداء الجنود ليأتوا بابن عقيل أو يقتلوه ..

وأراد ابن زياد أن يمتحن نذالة القوم وتطوعهم لخدمة الباطل
فقال من منكم يتطوع ليذهب مع هذا الفتى وله أيضا أجر كبير
فذهب من المجلس عشرات فاختار منهم سبعين رجلا ليس من الغريب
أن يكون منهم من أرسل إلى الحسين كتابا يطلب إليه الخضوع
لأعلاء كلمة الله ثم أمرهم أن يسرعوا والتفت ابن زياد وهو بينه
وبين نفسه فبصق على هؤلاء الأوغاد

وهناك عند الدار الخربة في أطراف الصحراء ذهبوا يطرقون
الباب وأسرعت العجوز الهلوك فوقفت دونهم ودون الدار سداً
منيعاً وقالت

ويحكم انه مندوب الحسين ابن النبي . . . ويحكم تذكروا أي
منكر تفعلون والله لن تدخلوا الدار إلا فوق جهتي ونظرت إلى
ابنها وهو يدل القوم على منافذ الدار فأسرعت إلى حجر ودقت به
رأسه وهي تلعنه وتلعن يوم ولدته ثم بذلت ضعفها وأسلمت
روحها إلى الله .

الحسين في الطريق

وكان الحسين رضى الله عنه قد تسلم كتاب مسلم بن عقيل الذى يخبره فيه بحب أهل الكوفة له وانهم له جند مجند وانهم فى انتظاره فاعتزم الحسين سفرا اليهم وذهب فطاف بالبیت وسعى بين الصفا والمروة ولم يتمكن من اتمام الحج . ولم يتسلم الكتاب الثانى من ابن عقيل وجاءه أبو بكر عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنهاه عن هذا السفر فقال له الحسين رضى الله عنه ، جزاك الله خيرا يا ابن عمى قد اجتهدت رأيك ومهما يقضى الله يكن ، وجاءه عبد الله ابن عباس فنهاه عن الخروج أيضا وقال له ان ابیت الا الخروج فاخرج الى اليمن فقال الحسين يا ابن عمى والله لأعلم انك ناصح مشفق وقد ازمعت واجمعت المسير . ان رسول الله ﷺ قد أمرنى بأمر وانا ماض فيه .

فخرج ابن عباس يبكى وقد علم ان الحسين لا محالة مقتول وجعل يضرب يدا بيد ألما وحزنا وهو يردد من قلب كليم . . . واحسيناه ثم جاءه عبد الله بن عمر فاشار عليه يصلح أهل الضلال وحذره من القتل والقتال فقال له يا أبا عبد الرحمن أما علمت أن من هو ان الدنيا على الله ان رأس يحيى بن زكريا أهدى الى بغى من بغايا بني اسرائيل ، أما تعلم ان بنى اسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع

الفجر الى طلوع الشمس سبعة ايام ثم يجلسون في الأسواق للبيع
كان لم يحدثوا شيئا .

القدر في انتظار الحسين

ولم يكن الحسين قد علم بمقتل مسلم بن عقيل وما كان من الامر
بعد ذلك بل كان رضى الله عنه يظن ان القوم على نصرته مقيمين
فكتب الى اهل الكوفة كتابا أرسله مع قيس العسيداوى جاء فيه

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن على الى اخوانه المؤمنين والمسلمين . . سلام
عليكم . . فاني احمد اليكم الله الذي لا اله الا هو (اما بعد) فان
كتاب مسلم بن عقيل قد جاءني يخبرني بحسن رأيكم واجتماع ملاكم
على نصرنا والطالب بحقنا فسألت الله أن يحسن لنا الصنيع وأن
يثيبكم على ذلك أعظم الأجر .

ووقع حامل الكتاب وهو في الطريق الى الكوفة في قبضة
رجال ابن زياد وساقوه اليه فقال له ابن زياد . . يا هذا لك الخيار
اما أن تقتل او تخبرني بأسماء القوم الذي كنت متلقاهم في الكوفة
قال قيس بن محمد حامل الكتاب وان لم أفعل ؟ . .

قال ابن زياد وان لم تفعل فعليك ان تصعد المنبر في المسجد
أمام جموع المصلين ثم تسب الحسين وأباه واخاه .

قال قيس بن محمد لقد اخترت هذا .

واذ كان على المنبر حمد الله واثني عليه وصلى على النبي وأكثر
من الثناء على علي والحسن والحسين وذهب يدهن ابن زياد وأباه
وعتاة بنى أميه ثم صرخ في الناس قائلاً .. أيها الناس ان هذا
الحسين بن علي بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ وقد جاء اليكم
وانه هناك قريباً منكم ينتظر دعوتكم فانصروه .

فأمر به ابن زياد فحمل الى أعلا مكان في الكوفة ثم ألقى به
من حلق فتقطع ومات .

حزن الحسين

واذ علم الحسين بمقتله بكى بكاء شديداً وهو يسكر (فمنهم من
قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً) .

وكان مع الحسين رضى الله عنه بعض الأعوان المخلصين الذين
جاءوا معه ليشدوا أزره وينصروه فلما انكشف للحسين أمر أهل
العراق وانصرفهم عنه أراد ان يجعل الذين جاءوا معه على يدنة من
الأمم وتلك خلة لا تكون الا انبي أو ابن نبي فهو مقبل على أيام
شدة وعنف عدته فيها الرجال ولكن نفسه الكبيرة تأبى أن يظل
هؤلاء الرجال معه وهم يحملون الأخطار الكبيرة التي سيتعرضون

لها واذا ذاك رأى أن يجعل لهم الخيرة من انفسهم فكتب كتابا
طلب الى احدهم ان يقرأه على القوم الذين جاءوا معه واليك
الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد . . . فانه قد أتاني خبر فظيع قتل مسلم بن عقيل وهاني
ابن عروة وعبد الله بن بقطر وقد خذلنا قومنا فمن أحب منكم
الانصراف فلينصرف في غير حرج ليس عليه ذمام . . الى آخره .
واذا قرىء هذا الكتاب على الناس وترك لهم أمر البقاء أو
الانصراف لم يأت المساء حتى انصرف أكثر الذين معه يهودون
من حيث أتوا ولم يبق معه الا عدد يسير . استمر بهم الحسين في
طريقه الى الكوفة .

وكان رضى الله عنه يحب الشهير والنفس النبيلة في هذه
الساعات العصيبة تتكشف لها مشارف من سمو الأحاسيس فجعل يقول
فان تكن الدنيا تعد نفيسة

فان ثواب الله أعلى وأنبل

وان تكن الأبدان للهوت انشئت

فقتل امرئ بالسيف في الله أفضل

وان تكن الارزاق قسما مقدر

فقلة حرص المرء في السعي أجمل

وان تكن الأموال للترك جمعها
فما بال متروك به المرء يبخل

جيوش الشر تتحرك

وكان خبر وصول الحسين الى كربلاء قد وصل الى عبد الله
ابن زياد فأمر بمراقبة المنافذ وأرسل جيشا في أربعة آلاف رجل
مدججين بالسلاح بقيادة عمر بن سعد وجعل مهمة هذا الجيش أن
يأتي بالحسين حيا أو ميتا .

وكان عدد رجال الحسين في أغلب الأقوال سبعمائة منهم ثلاثون
فارسا فجمعهم رضى الله عنه وخطبهم فقال

انه قد نزل بنا من الأمر ما قد ترون وان الدنيا تغيرت
وتسكرت وأدبر معروفها ولم يبق منها الا صباية كصباية الاناء ،
وخطبهم عيش كالمري الويل ، ألا ترون ان الحق لا يعمل به
وان الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء ربه محققا فاني
لا أرى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا برما .

وران الوجوم على القوم واخذهم هم عميق لما ذكرهم به الحسين
من ذهاب الحق واستعلاء الباطل وأجابه عن الرجال زهير بن القين
فقال .. قد سمعنا هداك الله يا ابن رسول الله مقاتلك ولو كانت

الدنيا لنا باقية وكنا فيها مخلدين لأثرنا النهوض معك على الاقامة فيها .

وجاء من يخبر الحسين أن الأربعة آلاف الذين يقودهم عمر بن سعد قد ألحقوا بأربعة آلاف أخرى وأن أربعة آلاف غير هؤلاء وهؤلاء في الطريق ذلك أن ابن زياد قد جن جنونه فأيا رجل وقع عليه بصره جنده وأرسله ليأتيه برأس الحسين وإن تلبث الصحراء غير قليل حتى تملأ عليهم رجالا كل منهم يطلب رأس الحسين وكل منهم يدعى الاسلام ويؤ من برسول الله .

فلم ينقض النهار حتى كان عدد رجال ابن زياد ثلاثون ألفا أمامهم سبعةون مع الحسين .. ونظر حبيب بن مظاهر أحد رجال الحسين الى هذه الفئة القليلة التي ستلقى جيشا عرما كبيرا يقوده الحقد والضعيفة فقال للحسين يا ابن رسول الله ههنا حى من بنى أسد بالقرب منى فأذن لى أن أدعوهم الى نصرتك فسمى الله أن يدفع بهم عنك فأذن له الحسين نخرج اليهم فى جوف الليل وجعل يصيح يا قوم .. قد أتيتكم بخبر ما أتى به انسان .. لقد جئت أدعوكم الى نصر ابن بنت نبيكم فانه فى عصاة من المؤمنين ، الرجل منهم خير من ألف رجل لن يخذلوه وإن يسألوا أبدا فاطيعون فى نصرته قتالوا بها شرف الدنيا والآخرة فهب منهم رجل وهتف

قد علم القوم اذا تواكلوا وأحجم الفرسان أو تشاقلوا
ان شجاع بطل بمقاتل كأننى ليث هرين باسل
ففعل هذا الكلام فعله فى نفوس أهل الحى فهبوا جميعا لنصرة
الحسين وعدادهم تسعون مؤمنا كل منهم يعلم انه ميت لا محالة أمام
هذه الجيوش الجاراة .

* * *

ولكن من عجب أن هذه الجيوش الكبيرة مامن انسان فيها
إلا وهو يخشى الهجوم على الحسين مع قلة رجاله وكان ابن زياد
يعلم عنهم ذلك ولذلك أمرهم أن يحاربوا الحسين بمنه من الماء حتى
يموت هو وأهله ظمأ بغير قتال فنادى عبد الله بن حصين الأزدي
من شيعة ابن زياد يقول بأعلى صوته . . . يا حسين ستنظرون إلى
الماء ولا تمسونه كأنه فى كبد السماء والله لا تدركون منه قطرة
حتى تموتوا عطشا فقال الحسين عليه الرضوان .. اللهم اقتله عطشا .
ولقد جاء فى الأخبار ان هذا الرجل وهو مريض بعد ذلك ببضع
سنين كان جوفه يلتهب من العطش فاذا جاءوه بالماء شربه وتفاياه
وظال يصيح العطش .. العطش ..

ولما اشتد العطش بالحسين وأهله ورجاله أدرك ان الآفة قد
أنزفت فجعل رضى الله عنه ينصح لهم أن يتفرقوا عنه وان ينجوا

بأنفسهم وإن يدعوه وحده يلقي مصيره وقال لهم .. وهو يخطب
 القوم .. أما بعد .. فاني لا أعلم أصحابا أوفى ولا خيرا من أصحابي
 ولا اهل بيت أبر ولا أوفى من اهل بيتي فجزاكم الله عني خيرا
 الا واني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعا في حل ليس عليكم مني ذمام
 وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا ولا يأخذ كل واحد منكم بيد
 رجل من اهل بيتي وتفرقوا في سواد هذا الليل وذروني وهؤلاء
 القوم فانهم لا يريدون غيري . . . فسالوا جميعا لا والله لا نفعل
 ولكننا نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهليتنا ونقاتل معك حتى نهلك

أنها الحرب

فقام الحسين وأصحابه وأولوا الدور ظهورهم وأمر بحطب كثير
 فوضعه في خندق محفور واشعلت النار في الحطب حتى لا يأتهم
 القوم من خلف ظهورهم . وركب الحسين دابته وأمر بمصحف
 فوضعه أمامه ورفع يديه الى السماء وقال . . اللهم انت تقى في كل
 كرب وانت رجائي في كل شدة وانت ولي في كل امر كم من كرب
 يضعف فيه الفؤاد وتقل فيه الحيلة ويخذل فيه الصديق شكوته
 اليك رغبة عني اليك ففرجته وكشفته فانت ولي كل نعمة وصاحب
 كل حسنة ومنتهى كل رغبة .

وإذ ظهر الحسين دب الرعب في قلب جيوش عمر بن سعد
 الجسارة فزحفوا وجاءوا من خلف الحسين فردتهم النار المشتعلة في
 الاحطاب وتقدم الحسين الى وجهتهم وهم أمامه كالسيل العرم من
 كثرة عددهم وراح بأعلى صوته يعظهم ويذكرهم بآيات الله . . .
 فقال له عمر بن جوشن احد القادة .. ما هذا الذي تقول ؟ ..
 فأجاب .. اقول اتقوا ربكم ولا تقتلوني فانه لا يحل لكم قتلى
 ولا انتهاك حرمتي فاني ابن بنت نبيكم ولعله قد بلغكم قوله صلى الله عليه وسلم
 الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة . ماذا فعلت لكم ؟ .. انكم
 لا تطلبوني بقتيل منكم قتلته ولا بمال استهلكته وانما اتم كتبتم لي
 تطلبوني فاغتررت بكم واسرعت اليكم .. فاتقوا الله
 وإذ ذاك نظر القوم والجن والرعب والرهيبة تأخذ بقلوبهم
 وهم كثير منهم ان يتراجع لولا ان شد عليهم قادتهم وطلب كبير
 الجيش الى الجر بن يزيد وهو اشجعهم في القتال ان يحتمل لضرب
 الحسين ضربة قاضية فراح هذا يدور ويحول وله في الحروب
 جولات وجعل يدنو من الحسين قليلا قليلا فاذا برعدة فجائية تنابه
 فهو من فوق جواده يرتجف رجفا شديدا يأخذه من جميع اقطاره
 فقال له احدهم ماذا بك يا ابن يزيد ان أمرك غريب والله
 ما رأيت منك في موقف قط مثل هذا ولو قيل لي من اشجع اهل
 الكوفة لذكرتك .

فقال الرجل اذكر الدنيا وما سألناه فيها حين اقتل حسين ،
قاتقدم واذكر النار التي سأخلد فيها اذا قتل ابن النبي فاحجم . ولم
يلبث هذا الرجل ان انخرط في بكاء شديد ثم اسرع نحو الحسين
فوقع على قدميه يباليهما بالدمع تائبا نادما .

فدعا له الحسين بخير .. ثم عاد الحسين ينسادي وهو يرى من
خلفه النساء والاطفال من آل بيته يستبد بهم العطش ويحوم حولهم
الشر وتطلبهم السيوف وهم خير من حملت الارض شرفا ومجدا
فجعل الحسين يقول .. يا قوم اما من مغيث يغيثنا لوجه الله . . .
امامن ذاب يذب عن حرم رسول الله . . . وكان يزيد ابن زياد
ابن مهاجر قد تقدم بأمر القائد ليضرب الحسين الضربة القاضية
وكان من اشجع اهل العراق فكان يرفع سيفه وصوت الحسين
يملج في اذنيه ويأعليه الدنيا وتردد صدى هذه الاستغاثة الشريفة
الجبال فأسرع هو الآخر الى الحسين وارتمى تحت قدميه ثم نهض
رافعا سيفه وهو يقول

يا رب اني للحسين ناصر ولا بن سعد تارك وهاجر

وذهب يحارب الى جانب الحسين ويدفع عنه حتى قتل

على بن الحسين

ورأى على بن الحسين أباه في موقفه ذاك يذكر الناس بآيات
الله وهم أمامه زائغي الأبصار ، كأنهم خشب مسندة فهجم عليهم
يعمل فيهم سيفه ويدفع عن أبيه هو يقول

انا على بن الحسين بن علي نحن اهل بيت الله اولى بالنبي
قاله ان يقاتلني ابن الدعي اضرب بالسيف احامى عن ابي

ضرب غلام هاشمي علوى

وكان اهل الكوفة يتحامونه وكل منهم يخشى ان يناله فيقتل
رجلا من آل بيت النبي فيخلد في النار فذهب على السبي يعمل فيهم
تقتيلا ثم يعود الى ابيه الحسين فيباركه وهو يلهمه قائلا يا ابي قتلتني
المطش فها الى شربة من ماء سبيل ، فيبكي الحسين ويقول واغوثاه
يا بني من اين آتى لك بالهاء ، قاتل قليلا فما اسرع ما تلتقي جدك
محمد ^{صلى الله عليه وآله} فيستقيك بكأسه الا وفي شربة لا تظما بعدها . . .
فجعل يرد بالسيف والمطش مستبدا به حتى اعترضه شخص كوفي
يدعى مرة بن منكذ العبدي فرماه بالسهم وصرعه فنادى وروحه
تصعد الى الله يا ابتاه عليك السلام فهذا جدى يقرئك السلام
ويقول لك عجّل القدوم علينا .

وتناول الناس من قوم يزيد هذا الصبي من آل بيت النبي
فقطوه بسيوفهم تقطيعا .

بقية آل البيت

وقتل بعد ذلك من آل الحسين عبد الله بن مسلم وعبد الله
أكبر ومحمد بن عبد الله بن جعفر وغيرهم وغيرهم ممن كانت
الأرض تضطرب خجلا أن تبتلع دماءهم . واشتد الكرب وهجمت
الجيوش على رجال الحسين حتى لم يبق إلا الحسين رضي الله عنه
والنساء .. وخرج من أخبية النساء طفل صغير من آل البيت جعل
يسرع إلى الحسين وهو لا يدري عن الحرب شيئا ويظن الحسين
يأخيه ويداعبه . والطفل يسرع إليه مبتسما مستبشرا وعمره سنتان
فحمل على الطفل هاني بن ثابت الحضرمي فضر به بالسيف وقتله
وصارت أمه تنظر إليه كالجنونه والحسين وحده في الصحراء كالأسد
الجريح وأصوات منسكرة ترتفع مطالبة برأسه . وسيوف حوله
تلع وعيون تقذح بالشر وأخذوا يهجمون عليه وحده ويضيقون
الحلقة عليه . ويبدأ ويبدأ وهو يصيح . هل ذاب يذهب عن حرم
رسول الله هل من موحد يخاف الله فينا . هل من معين يرجو ما
عند الله فلم يحجبه أحد .

واذ ذاك اشار إلى السيد زينب ورضي الله عنها فأتته بولده
 الصغير ليقبله فانتهن فرصة انشغاله بطفله رجل يدعى حرمة بن كاهل
 فرمى الطفل بسهم ذبحه بين يدي أبيه فحمله الحسين وراح يقول
 يا رب ان كنت قد حبست عنا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو
 خير منه وانتقم لنا وسار بالطفل حتى وضعه إلى جانب الصف الطويل
 من الجثث الطاهرة . من قتل آل بيت النبي .

نهاية الحسين على الارض

واشتد العطش بالامام الحسين وكان الماء قريبا منه فدنا منه
 ليشرب فرماه الحصن بن تميم بسهم في فمه الشريف فجعل يتلقى الدم
 من فمه ويرمى به إلى السماء واذا رأى القوم تهيبه وما أصبح عليه
 من أعياء تكاثروا عليه من كل جهة فهب واقفا واندفع بسيفه فاندكت
 أمامه صفوف وتراجعوا من هيئته ورهبته وكل منهم مبارده الخوف
 من هذه الجريمة العظمى أن يقتل أحب آل بيت النبي إليه فيخلد في
 النار وذهب الحسين وهو يشهر بالنهاية يحارب حربا لم يعرف
 التاريخ مثلهما ودعوا يرتجز .

القتل أولى من ركوب العار

والعار أولى من دخول النار

فاذا بالآلوف يتركون سيوفهم وخيولهم فرارا بانفسهم ثم يدفعهم
 قادتهم فيمردون حيارى من جديد حول الحسين وهو وحده يلقى
 ثلاثين الفا من المسلمين .. وانه لعار . وأى هار . وكان العطش
 يشتد به والكرب يزداد عليه فسقط إعياء بين القوم واذ ذاك
 أسرع السيد زينب رضى الله عنها تنادى وهى ترى أشرف خلق
 الله ملقى بين كلاب من الأوغاد وراحت تصيح واخاه : واسيداه
 واحسيناه واذ ذاك ناله جبان من بعيد بحجر فأسال الدم على جبهته
 ففقد مكانه يمسح الدم واذ بأخر يرميه بسهم مسموم ذى ثلاث
 شعب فوقع على قلبه وقال بسم الله .. وبالله .. وعلى ملة رسول الله
 واذ ذاك حمل آخر رمقه وسدده إلى قلب الحسين فكبا على وجهه
 الشريف وجعل يقوم ويكبو حتى جلس قاعدا وجعل يضع كفيه
 تحت الدماء التى تندفع من جراحه فاذا امتلأت الكيف بالدماء
 رفعها إلى السماء وهو يقول هكذا التى الله مخضبا بدمى مغلوبا
 على حقيقى ثم خارت قواه وهو يردد اسم جده صلى الله عليه وسلم
 وجاء رجل من بعيد يحرى يدفعه القدر وتناديه جهنم ونظر الحسين
 إلى القادم فابتسم لانه عرف قاتله .. فهذا الرجل قد وصفه له
 رسول الله أنه شمر بن جوشن أسرع مجنونا مغمضا عينه فرفع سيفه
 وحز رأس الحسين بفصله على جسده وذهب يقول

أني آخذ رأسك واني أعلم أنك اليد المقدام وانك ابن رسول
الله وخير الناس أبا وأما .

وإذ ذاك غربت الشمس مصرعه مهرولة تريد أن تفر من أرض
الظلام وناحت طيور السماء فشاركت السماء آل البيت العويل
والنواح وذهب الحسين إلى السماء وترك الأرض للاشرار أما بعد
فهذه هي الدنيا فاذكروها على حقيقتها حين تطاردكم الأهوال
والرغبات واذكروا حين يلتم بكم البلاء أو تنزل بكم نازلة أن
أكثر الناس بلاء هم الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل .

أيها الكرام .. عند الشدائد والأحوال صبرا . ثم صبرا فليستهم
أكرم على الله من حسين .

محمد بن أبيب البرقي

